وائل زعيتر
قديس آخر يموت في روما

داود تلحمي

كان وائل — على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه — احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يفي وائل حقه ، لان وائل لم يكـن يطمح لحمل أوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، نكاد نعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبـة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندره المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكأنه في تعففه هـذا ، كان يريد ان يبقى قريبا — حتى في حيـاته الشخصية — من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كـل أوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التكسي في روما مرورا بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الايطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه الثائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي .

مات وائل كما عاش قديسا (ثوريا) برصاصات الوحيدين الذين يمكن أن يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكأني به وهو يواجه أعزل باسما في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قتلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون أن يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مثالية أخرى لصراع الخير والشر .

• • •

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مثلما حملت ، ابتسامة التحدي والثقة بعدالة النضال ...

ولن يرهبونا ...

وسنستمر يا وائل ،

حتى ترتسم ابتسامات السعادة على وجوه اطفالنا فوق أرض فلسطين الحرة .